العدد 10 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية تموز 2025
No. 10 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences July 2025
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

أسلوب الالتفات في شعر الموسوسين في العصر العباسي

الباحثة : أيام كريم غازي

ملخص :

يتوخى هذا البحث التنقيب عن أسلوب الالتفات في شعر الموسوسين ، والوقوف على أسرار المعنى من خلاله ، والولوج في نواياه من أجل معرفة مدى ما حققه ذلك الأسلوب من الإمتاع والمرونة في تلك اللغة ، فضلاً عن معرفة خصوصية و فوارق استعمال عارض مطابقة عودة الضمير- الخطاب والتكلم والغيبة – على مرجعه عند هؤلاء الشعراء .

الكلمات المفتاحية : التنبيه ، انتقل ، الالتفات .

The style of attention in the poetry of the Mosos in the Abbasid era

Researcher: Ayam Karim Ghazi

Abstract:

This research seeks to explore the style of attention in the poetry of the possessed, discover the secrets of meaning through it, and delve into its intentions in order to know the extent to which that style has achieved enjoyment and flexibility in that language, as well as knowing the specificity and differences in the use of the incidental matching of the return of the pronoun - speech, speech, and backbiting. - On his reference to these poets.

Key words: Alert, move, pay attentio .

المقدمة :

الحمد لله الذي تقدست أسماؤه ، وﷻ ، وعز جاهه ، وجل ثناؤه ، والصلاة والسلام على سيد الكائنات ، والمبعوث رحمة للمخلوقات ، سيدنا محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين ، أما بعد...

لاشك أن الأصل في اللغة أن يعود الضمير على مرجع يطابقه في الخطاب ، والتكلم ، والغيبة ، فـ" العرب يحافظون على المطابقة بين الضمير ومرجعه " [1] ، بيد أنّهم في أحايين كثيرة – ولاسيما الشعراء منهم - "يسأمون الاستمرار على ضمير متكلم أو ضمير مخاطب فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة، وكذلك أيضاً يتلاعب المتكلم بضميره فتارة يجعله ياء على جهة الإخبار عن نفسه وتارة يجعله كافا أو تاء فيجعل نفسه مخاطبا وتارة يجعله هاء فيقيم نفسه مقام الغائب، فلذلك كان الكلام المتوالي فيه ضمير متكلم أو مخاطب لا يستطاب وعندما يحسن الانتقال من بعضها إلى بعض" [2] ، ولعل ما يؤديه هذا الأسلوب من الأثر عند السامع في تعزيز نشاطه، وتحفيز إصغائه [3] ، و زيادته هزة وجدة [4] يُفسر ذلك الانصراف عن الأصل .

وفي اللغة " يقال: لفتّ فلانا عن كذا إذا صرفته. والالتفات [منه] إنما هو الانصراف عما كنت مقبلا عليه " [5] ، وهذا ما قره ابن فارس في معرض كلامه عن مادة (لفت) قائلاً :" (لفت) اللام والفاء والتاء كلمة واحدة تدل على اللي وصرف الشيء عن جهته المستقيمة. منه لفت الشيء: لويته. ولفت فلانا عن رأيه: صرفته. والألفت: الرجل الأعسر. وهو قياس الباب: واللفيتة: الغليظة من العصائد، لأنها تلفت، أي تلوى. وامرأة لفوت: لها زوج ولها ولد من غيره فهي تلفت إلى ولدها. ومنه الالتفات، وهو أن تعدل بوجهك، وكذا التلفت."[6] .

أمّا في الاصطلاح فهو : " العدول عن الغيبة إلى الخطاب أو التكلم، أو على العكس " [7] ،وقد ورد في شعر الشعراء الموسوسين أكثر من صورة من صور الالتفات يمكن تفصيلها كالآتي :

أولاً / الالتفات من الخطاب إلى الغيبة :

قال أبو حية النميري :

يـــابنَ الأكـــارمِ يـــا وليـــدُ ألســـتُم أهـــلَ الغِنـــى قِـــدْماً وطِيـــبَ العُنصـــرِ
إنّـــي أتيتُـــكَ مـــن شَـــراءَ وبِيشـــةٍ ومـــنَ العقيـــقِ ومـــن جنـــوبِ مُحَجَّـــرِ
تغلـــو بـــيَ القَفـــراتِ ذاتُ عُلالـــةٍ بعـــدَ الكـــلالِ وبعـــدَ خلْـــقٍ دَوســـرِ
جـــادَ الربيـــعُ لهـــا بفَيـــدٍ وأُرســـلتْ فـــي عـــازبٍ غَـــرِدِ الـــذبابِ مُنـــوّرِ
بـــدأتْ وإنَّ أثـــارةً ملمـــــــومةً لعلـــى مَحالتِهـــا كخِـــدرِ المُعْصِـــرِ
حتـــى إذا طرحَـــتْ نَســـيلاً جـــافلاً عنهـــا وقـــدْ جـــزأَتْ ثلاثـــةَ أشـــهرِ
راحـــتْ تَقَلْقَـــلُ مـــن زَرُودَ فأصـــبحتْ بـــالبطنِ ذا قِنَـــةٍ خَفـــوقَ المِشْـــفرِ
كلّفتُهـــا رَحلـــي إليـــكَ وإنّمـــا ترجـــو نوافـــلَ سَـــيبِكَ المُتحضِّـــرِ
مـــرّتْ علـــى قصـــرِ المقاتـــلِ بعـــدَما كربَـــتْ ظَهيرتُهـــا ولمّـــا تُظهِـــرِ
فتـــزاوَرَتْ منـــهُ كـــأنَّ بـــدَفّها هِـــرّاً يُشَـــبِّثُ ضَـــبعَها بـــالأظفُرِ
وأتـــتْ علـــى البَـــردانِ وهْـــيَ مُدِلّـــةٌ عَجْلـــى اليـــدَيْنِ متـــى أزَعْهـــا تَخْطِـــرِ
حتـــى أتتْـــكَ وقـــدْ رمـــتْ بحَنينِهـــا جُعلـــتْ تُضـــيفُ مـــنَ الغـــرابِ الأعـــورِ
آلـــتْ إذا مـــا حُـــلَّ عنهـــا رَحلُهـــا ومشـــتْ علـــى بخْـــصِ اليـــدَينِ الأحمـــرِ
إنَّ الوليـــدَ جـــرى المئـــينَ مُبَـــرّزاً وصـــــــفَتْ يـــداهُ بنائـــلٍ لـــمْ يَنـــزُرِ
وأشـــارتِ الأيـــدي إليـــهِ بحِلمِـــهِ والحـــزمِ حـــينَ أطـــاقَ حمـــلَ المئـــزرِ
حتـــى إذا لـــبسَ العِطـــافَ تفرّجَـــتْ حلَـــقُ المجـــالسِ عـــنْ أغـــرَّ مُشـــهَّرِ
أعطـــى الجزيـــلَ وســـادَ حـــينَ مضـــتْ ســـبعٌ وبـــــــعضُ لِداتِـــهِ لـــم يَثْغَـــرِ
وغـــدا وراحَ إلـــى الأمـــورِ بحَزمِـــهِ وبـــأمرِ مُطَّلِـــــــــــــــــــع الحِمالـــةِ مِجْشَرِ" [8]

مما سبق يتضح أن الشاعر استعمل أسلوب الخطاب حين قال : " يا بن الأكارم ، يا وليد ،أنتك " ،حيث يخاطب ممدوحه ، ثم انتقل إلى التعبير بأسلوب الغيبة في قوله " لبس ، أعطى ، سادِ، غدا ، راح " ، وما في ذلك من الإثارة للذهن ؛ فعند الخطاب تكلم عن نسب ممدوحه ، وجاهه ، وحسبه ، وهو أكثر ما يُحب المرء أن يفتخر به ؛ ولربما لأن النسب كالاسم الذي يفرض على الشخص ، وليس بمقدوره أن يغيره كصفات الكرم والشجاعة التي تكتسب فيشترك فيها أغلب الملوك

وقال أبي الشيص الخزاعي:

ما كان مثلك فى الورى فيمن مضى أحـــــــــد وظنى أنّه لا يُخلق " [9]

يُلحظ أن الشاعر انتقل من أسلوب الخطاب في قوله :" مثلك " ، إلى ضمير الغيبة نحو قوله : " مضى ، يُخلق " ؛ لشد ذهن السامع ، ولفت انتباهه .

ومنه قول أحمد بن عبد السلام الجراوي :

" ببســـيط العـــالم تعتضـــد وعلـــى معبـــودك تعتمـــد
ماضـــر عُـــلاك وقـــد بهـــرت مـــن يحجبـــه عنهـــا الرمـــد
شـــقي الأعـــداء وإن حســـبوا بمـــروقِهم أن قـــد ســـعدوا
وردوا غـــدران الغـــدر ولا صـــدرٌ عـــنهنَّ لمـــن يـــردُ
كفـــروا لمـــا كثـــر وزكـــت أمـــوالهم ونمـــا العـــددُ

نـــــعم رُزقـــت نعمـــاً فطغـــت وبغـــت فـــأتيح لهـــا الأســـدُ
مـــــا غـــرهم بهزيـــز وغـــى حـــــلق المـــاذيّ لـــه لِبَـــدُ
أســـــد تنقـــاد لـــه الآســـا د كـــــما تنقـــاد لهـــا الفُهُـــدُ
تـــــذكو نيـــران حفيظتـــه فيكـــاد يـــذوب لهـــا الـــزردُ
فـــــله مـــن عزمتـــه عـــدد ولـــــه مـــن نجـــده عـــددُ
يلقـــى الأبطـــال فيـــنقض مـــا عقـدوا ويـناقضُ مـا اعتقـدوا "[10]

يُلحظ أن الشاعر انتقل من أسلوب الخطاب في قوله : " تعتضد ، تعتمد ، بهرت " إلى أسلوب الغيبة نحو قوله : " يلقى " ولا يُخفى ما في ذلك من إثارة ذهن السامع وجذب انتباهه ، فإن تحوله هذا يدل على بُعد الأعداء - ولاسيما الشجعان منهم - هرباً من لقائه ؛ لأن الغائب أبعد عند المتكلم من المخاطب ، في حين استعمل ضمير الخطاب عندما تكلم عن التوكل على الخالق والمعبود .

وقال بهلول بن عمرو :

" تجوَّع فإنَّ الجوع من عَلَم التُّقى وإن طويل الجوعِ يوماً سيشبعُ " [11]

لقد انتقل الشاعر من أسلوب الخطاب حين قال : " تجوع " ، إلى الغيبة بقوله : " سيشبع " ؛ وذلك لإثارة السامع ، ولفت انتباهه .

وقالتْ ريحانة العابدة :

" تعـــــوّد ســـــهر الليـــــل فـــــإن النـــــوم خســـــران
ولا تـــــركن إلـــــى الـــــذنب فـــــإن الـــــذنب نيـــــران
فكـــــن للـــــوحي درّاســـــاً وللقـــــراء أخـــــدان
إذا مـــــا الليـــــل فاجـــــاهم فهـــــم فـــــي الليـــــل رهبـــــان
يميلـــــون كمـــــا مـــــال مـــــن الأريـــــاح أغصـــــان " [12]

لقد انتقلت الشاعرة من أسلوب الخطاب - بالضمير- بقولها : " تعود ، تركن ، فكن " إلى استعمال ضمير الغيبة – للجماعة – بقولها :" فاجاهم " ، و " يميلون " ؛ وذلك لجذب المسامع ، وإثارتها .

قال ماني الموسوس :

" ليـت شـعري أيّ قـوم أجـدبوا فـأغيثوا بـك مـن طـول العجـف
" نظـر الـرحمن بالصـنع لهـم أحـــد
يـا أبـا إسـحق سـر مسـتودعاً وحـــــرمناك لـذنب قـد سـلف
إنمـــا أنـــت ربيـــع صـــبب يـا أبـا إسـحق سـر مسـتودعاً
حيـث مـا صـرّفه الله انصـرف " [13]

يبدو أن الشاعر قد انتقل من أسلوب الخطاب نحو قوله : " حرمناك ، سر ، امض " إلى أسلوب الغيبة في قوله " انصرف " ، وما في ذلك من تنبيه للسامع على مدى مكانة المخاطب - إبراهيم بن المدبر – في قلب الشاعر ؛ فهو يمجده و يدعو له بحضوره فضلاً عن غيابه .

ثانياً / الالتفات من الخطاب إلى التكلم :

قال أبو بكر الموسوس :

" أبصرتُ شخصَك في نومي يعانقني كمـــــا تعانقُ لام الكاتب الألفا" [14]

يبدو أن الشاعر انتقل من أسلوب الخطاب في قوله : " شخصك " ، إلى أسلوب التكلم بقوله : " نومي ، يُعانقني " ، ولربما كان ذلك لغاية مفادها تأجيج احاسيس السامع التي يبعثها هذا الانتقال .

قال غورك الموسوس :

" إعلـــم وأيقـــن أيهـــا المـــتكلم ما بـي اجـلّ مـن الجنـون وأعظـم
أنـا عاشـق فـإن اسـتطعت لعاشـق بـرءاً منـنـت بـه فأنـت محكـم
حسبي عذابي في الهوى حسبي به حسبي عذابي في الهوى حسبي به
هيهـات! أنـت بغيـر دائـي عـالم وسـواك بالـداء الـذي بـي أعلـم
دائـي رسـيس قـد تضـمنه الهـوى تحـت الجـوانح نـاره تتضـرم

وله أيضاً :

هلمـوا انظـروا مـا أورث الحـبّ انلـه حـذركم شـرّ الهـوى وعواقبـه
وأغرى بنفسي الشوق والهم والاسى فـأرقني بالليـل أرعـى كواكبـه " [15]

حيث انتقل الشاعر من الخطاب في قوله : " إعلم ، أيقن ، استطعت ، منـنت ، هلموا ، انظروا، أحذركم " ، إلى أسلوب التكلم حين قال : " بي ، أنا عاشق ، حسبي ، عذابي دائي ، بنفسي ، فارقني " ، وما لذلك من الأثر في البوح بحرقة ألم العشق الممزوج بالحنين .

وقال سعدون المجنون :

" أتتركنـــي وقـــد آليـــت حلفـــاً بأنـــك لا تضـــيع مـــن خلقتـــا
وأنـــك ضـــامن للـــرزق حتـــى تـــؤدي مـــا ضـــمنت ومـــا قســـمتا
وإنـــي واثـــق بـــك يـــا إلهـــي ولكـــن القلـــوب كمـــا علمتـــا " [16]

فقد انتقل الشاعر من أسلوب الخطاب عندما قال : " تتركني ، آليت ، بأنك ، تؤدي ، ضمنت " ، إلى أسلوب التكلم في قوله : " أني ، واثق " ، لغرض تنبيه السامع ، وإثارته .

ومنه قول ماني الموسوس [17] ، حين انتقل الشاعر من أسلوب الخطاب في قوله " بكفيك " ، إلى التكلم في قوله " إنني ، ألاقي ، ذنبي " ، وفي هذا - الالتفات - جذب انتباه القلوب ، واستمالتها قبل المسامع .

وقال مصعب الكاتب الموسوس :

" نصيحة من حوى أُذناً وطرفاً أتتك، وسوف تسعد إن فعلتا
عليك إذا لقيت بحسن بشر وكن من أكثر الثقلين سمتا
ولا تخل الأصابع من عقودٍ وغتّ الناس بالآثار غتّا
وعظهم وانههم عن منكرات ولا تدع البكاء إذا وعظتا !!
وواخ أبا الذي تهواه كيما يقال: (أخو أبيه) ، وقد ظفرتا !!
وإن أبصرت شرطك بين قوم ولم تصبر فسارق إن نظرتا
وإن فطنوا، فأطرق ثم فكّر كأنك لم تكن نظراً أردتا !!
ودار (المرد) منك بحسن لطفٍ ولا تدع الدبيب إذا سكرتا

وصاتي- يا سعيد- فلا تدعها فأنت من الفلاسف، إن قبلتا" [18]

يبدو أن الشاعر بعد تقديمه النصح والتوجيه مخاطباً صاحبه بقوله : " أتتك ، تسعد ، لقيت ، كن ....." ارتقى إلى أسلوب التكلم ، قائلاً : " وصاتي " ، للتنبيه ، وإثارة السامع .

ثالثاً / الالتفات من التكلم إلى الخطاب :

قال أبو حية النميري :

" وإنّي لَمِمّا أنْ أُجَشِّمَ صُحبَتي ونفسيَ والعيسَ الهمومَ الأقاصيا
" وإنّي لَمِمّا أنْ أُجَشِّمَ صُحبَتي ونفسيَ والعيسَ الهمومَ الأقاصيا
وإني لَيُنْهاني عنِ الجهلِ إنّني أرى واضحاً مِنْ لِمَّتي كانَ داجيا
وطُولِ تَجاريبِ الأمورِ ولا أرى لذي نُهيَةٍ مثلَ التَّجاريبِ ناهيا
وهَمٍّ طرى من بعدِ ليلٍ ولا ترى لهَمٍّ طَرا مثلَ الصَّريمةِ قاضيا " [19]

لقد لون الشاعر كلامه بالانتقال من أسلوب التكلم حين قال : " وإني ، نفسي ، أرى " إلى أسلوب الخطاب ، فقال : " ترى " .

وقال جعيفران الموسوس :
"عادني الهمّ فاعتلج كلّ همّ إلى فرج
سلّ عنك الهموم بال كأس والراح تنفرج"[20]

وقال أيضاً :

"رَأيْتُ النَّاس يرموني أحْيَاناً بوسواس
وَمن يضْبط يَا صَاح مقَال النَّاس فِي النَّاس
فدع مَا قَالَه النَّاس وَنَازع صفوة الكاس "[21]

يُلحظ أن الشاعر في قوله الأوّل والثاني انتقل من أسلوب التكلم - يدلنا على ذلك استعماله لضمير المتكلم - بقوله : " عادتي ، رأيتُ " إلى الخطاب ، إذ قال : " فاعتلج ، سل ، يا صاح ، فدع ، نازع " ؛ ولعله - الشاعر – عمد إلى ذلك لغاية الحث والتشويق على فعل تلك الأمور ؛ كونها - في معتقده - تكون سبباً في الحصول على السعادة والابتعاد عن الهموم .

وهو القائل:

" وندامـــــــــــي أكلـــــوني إن تغيبـــــت قليـــــــــــلا
" وندامـــــــــــي أكلـــــوني إن تغيبـــــت قليـــــــــــلا
زعمـــــــوا إنـــي مجنـــون إن تغيبـــــت قليـــــــــــلا
كـــــيف لا أرعـــى ومـــا لـــب صـــر فـــي النـــــاس مثـــيلاً
بـــــــاسطاً للجـــود كفـــاً قائـــــــلاً خيـــراً فعـــولاً
انثـــــــي أهـــوى كـــرام النـــاس لا أهـــــوى البخـــيلا
إن أكـــــن ســـؤتكم اليـــوم فـــــخلوا لـــــي ســـبيلا
وابتغـــوا غيـــــري نـــديماً لـــــــكم منـــي بـــديلاً " [22]

لقد اختار الشاعر أسلوب الانتقال من التكلم حين استعمل ياء المتكلم فَي قوله : " ندامي ، أكلوني ، إني " فضلاً عن استعماله للضمير المستتر في التعبير عن نفسه بقوله : " أرعى ، أرى ، أهوى ، أكن " ، ثم عمد إلى استعمال ضمير الخطاب – حين استعمل ضمير الجماعة – قائلاً : " سؤتكم ، فخلوا ، ابتغوا ، لكم " ؛ لغرض العتاب ، فهو يُلقي اللوم والعتاب على قومه في جنونه ويبين لهم بأنهم السبب ، فهو بالرغم من عريه – الذي عابوه به – إلا أنه أكرم منهم في جوده وقوله للخير، ولربما فقره هو من جعلهم يتمادون في ذلك ، ومنه قول سعدون المجنون [23] ، حيث استعمل الشاعر ضمير المتكلم (الياء) في قوله : " إني ، نفسي " ، ثم انتقل إلى أسلوب الخطاب حين استعمل الضمير(واو الجماعة) ، فقال : " تزودوا " ، يرمي من ذلك الأسلوب تقديم النصح والإرشاد لقومه .

وقال مصعب الموسوس :

" لا أعشقُ الأبيض المنفوخ من سمنٍ لكنَّنـــي أعشـــقُ السُّـــمْر المهـــازيلا
إني امْرُؤٌ أركبُ المُهْرَ المضمَّر في يـوم الرِّهـان فدَعني واركـبِ الفيلا" [24]

لعل الشاعر أراد أن يخصص لنفسه هذا العشق دون غيره حين انتقل من أسلوب التكلم – مستعملاً ياء المتكلم والضمير المستتر - بقوله : " أعشق ، لكنني ، إني ، أركبُ " إلى أسلوب الخطاب في قوله : " فدعني ، أركب " .

وقال ماني الموسوس :

"أرى غيمـــــاً تُؤلِّفُـــــهُ جَنـــــوبٌ أراهُ علـــــى مَســـــاءَتِنا حَريصـــــا
فحـــزْمُ الـــرأيِ أن تـــدعو برِطْـــلٍ فتشـــربُهُ وتكْســـوني قَميصـــا" [25]

انتقل الشاعر من أسلوب التكلم حين قال : " أرى ، مساءتنا " إلى أسلوب الخطاب في قوله : " تدعو ، فتشربه ، تكسوني " ؛ لغرض الحصول على مبتغاه – تكريمه من قبل الأمير – مقابل منادمته له [26] .

رابعاً / الالتفات من التكلم إلى الغيبة :

قال أبو حية النميريّ :

" نظـرتُ كـأني مـن وراءِ زجاجـةٍ إلى الدارِ من ماء الصبابةِ أنظرُ
فعينـــاي طـــورا تغرقـــان مـــن البكـــا فاعشى وطورا تحسران فأبصرُ

ولـيس الـذي يهمـى مـن العـين دمعهـا ولكنـه نفس تذوب وتقطر" [27] ،

لقد عدل الشاعر من ضمير المتكلم – التاء والياء - حين قال : " نظرت ، كأني ، فعيناي " ، فضلاً عن الضمير المتكلم المستتر في قوله : " أنظر ، فأبصر " إلى ضمير الغيبة – الهاء – في قوله : " دمعها " ، وضمير الغيبة (المؤنث) المستتر في " تذوب ، وتقطر " ؛ وذلك لغرض تشويق السامع ، فإن هذا الحزن لم يدمع العين فحسب بل أدمع النفس أيضاً .

ومنه قول أبي الشيص الخزاعيّ :

"أنـــا بَشَـــرْتُ أبـــا سعـــد فأعطـــاني البشـــارَهْ
بـــأبٍ صِـــيد لـــه بالأمـــس فـــي دار الإمـــارَهْ
فهـــو يومًـــا مـــن تَمـــيمٍ وهـــو يومًـــا مـــن فَـــزارَهْ
كـــل يـــوم لأبـــي سعـــد علـــى الأنســـاب غَـــارَهْ
خَزَمَـــتْ مَخْـــزمُ فَـــاه فادَّعاهـــا بالإشَـــارَهْ" [28]

يبدو أن الشاعر تكلم عنه نفسه في البيت الأوّل مستعملاً ضمير المتكلم (أنا ، وتاء الفاعل ، وياء المتكلم) ، حين قال : " أنا ، بشرتُ ، أعطاني " ، ثم عدل إلى أسلوب الغيبة في قوله : " له ، فهو، وهو " ، ولربما أراد الشاعر أن يفخر بنفسه في البيت الأوّل في أنه كان له الفضل في دخول أبا سعد إلى دار الإمارة ،وبعدها عدل الشاعر إلى ضمير الغيبة عندما أراد أن يهجو أبا سعد المخزومي ؛ لأنّه ردّ الإحسان بالإساءة في تحريضه المأمون على دعبل ابن عمه [29] ، وهذا الانتقال يؤدي إلى تشويق السامع وحسن إصغائه .

وقال أيضاً :

حذِرْتُ الهوى حتى رُميتُ مَن الهوى بأصْرَدِ سهمٍ في قِسيِّ الحواجبِوتُخطي
رَمَينَ فأصْمَيْنَ القَلوبَ مـــــكانَه وتُخطي يَدُ الرامي له في المغايبِ" [30]

لقد استعمل الشاعر ضمير المتكلم في قوله :" حذرتُ ، رميتُ " ، ثم انتقل إلى ضمير الغيبة في قوله : " مكانها ، له " ؛ لغرض التشويق وإثارة السامع ، فهو جعل من النظرات سهاماً تُصيب قلبه ليقع ضحية ذلك العشق .

وقال بهلول بن عمرو:

" تقلبـتُ لـو كـان التقلـب نـافعي وبالجد يسْعَى الْمَرْء لَا بالتقلب"[31]

إن الشاعر باستعماله لضمير المتكلم (التاء) في صدر البيت بقوله : " تقلبتُ " ، ثم استعمل أسلوب الغيبة في قوله : " يسعى " ، لعله يبين أن المتاعب التي واجهته وكثرة المشقة عليه قادته إلى أن يلتفت في عجز البيت إلى دفع هذا الجهد والتعب عن السامع ، فيكون السبيل إلى ذلك بالجد .

وقال أيضاً :

"شـــبهتُه قمـــراً إذ مـــر مبتســـماً فكـاد يجرحـه التشـبيه أو كلمـا" [32]

لقد انتقل الشاعر من أسلوب التكلم – مستعملاً الضمير التاء – حين قال : " شبهتُه " ، إلى الغيبة حين استعمل الضمير المستتر في قوله : " مرّ ، مبتسماً ، يجرحه " ، ولعله بالغ في وصف من يحب مما كان لكل ذلك الأثر في كسب حُسن إصغاء المتلقي .

وقال سعدون المجنون :

" أرى كل إنسان يرى عيب غيره ويعمى عن العيب الذي هو فيه
وما خير من تخفى عليه عيوبه ويبدو لـه العيب الذي لأخيه"[33]

يبدو أن الشاعر انتقل من التكلم في قوله : " أرى " إلى استعمال ضمير الغيبة الظاهر والمستتر ، قائلاً : " يرى ، غيره ، يعمى ، هو ، فيه ، عليه ، عيوبه " ؛ لغرض الالتفات إلى سوء هذا التصرف وبذائته .

وقال ماني الموسوس :

"مـــدمن التخفيـــف موصـــول ومطيـــل اللبـــث مملـــولُ
لـــيس لـــي خِـــل فيغطفنـــي فارقـــت نفســـي الأباطيـــلُ
أنـــا موصـــول بنعمـــة مـــن حبلـــه بالحمـــد موصـــولُ" [34]

إن الشاعر انتقل من أسلوب التكلم – مستعملاً الضمير أنا والياء – بقوله : " لي ، نفسي ، أنا " ، إلى الغيبة حين قال : " حبله " ، ليلفت انتباه المتلقي ويشد مسامعه .

وقال أيضاً :

" لمـــا رأيـــتُ البـــدر فـــي أفـــق الســـماء قـــد اســـتقلا
ورأيـــتُ قـــرن الشـــمس فـــي أُفـــق الغـــروب وقـــد تـــدلى
شبـــهتُ ذاك وهـــذه أُفـــق الغـــروب وقـــد تـــدلى
شبـــهتُ ذاك وهـــذه فـــأرى شبيههمـــا أجـــلا
وجـــه الحبيـــب إذا بـــدا وقفـــا الحبيـــب إذا تـــولى" [35]

فقد استعمل الشاعر ضمير المتكلم (التاء) في قوله : " رأيتُ ، شبهتُ " ، ثم انتقل إلى استعمال ضمير الغيبة في قوله : " وجه ، تولى " ، لغرض التشويق .

وقال أحد الموسوسين :

" أضـعفَ جسـمي وزاد فـي سَـقَمي أنْ لسـتُ أشـكو الهـوى إلـى أحَـد
كـــأن قلبـــي إذا ذكـــرتُهُم فَريسَـــةٌ بـــين مِخْلَبَـــي أسَـــدِ" [36]

يُلحظ أن الشاعر عدل من أسلوب التكلم حين استعمل ضمير(الياء والتاء) في قوله : " جسمي ،سقمي ، لستُ ، قلبي " إلى الغيبة حين استعمل الهاء العائدة على الغائب ، قائلاً : " ذكرتهم "وهو بهذا الانتقال يعزز حسن إصغاء السامع ويشوقه إلى الصورة التي رسمها لنفسه .

خامساً / الالتفات من الغيبة إلى الخطاب :

والذي يستقرأ شعر أبي الشيص الخزاعيّ [37] ، يُلحظ أن الشاعر لون كلامه بهذا (الالتفات الضميري) ، فانتقل من أسلوب الغيبة في قوله : " يصرف ، له ، رأيه ،حلَّ ، كفه " إلى الخطاب فقال : " أفيقوا " فضلاً عن استعماله لضمير الخطاب (كم) ؛ لغرض تنبيه قومه وحثهم على طاعة أميرهم والتودد إليه ، فهم منعمون في ظله .

وأيضاً عندما [38] عدل الشاعر من استعمال ضمير الغيبة - المستتر والظاهر- حين قال : " كريم ، يغض ، حياته ، ويدنو " إلى ضمير الخطاب – التاء – في قوله : " لاينته ، خاشنته " من أجل تنبيه المتلقي وإقناعه على ما يتصف به ممدوحه ، فالكرم وغض الطرف والأخلاق الحميدة ، صنعت منه إنساناً في اقتحامه للشر [39]

قال أبو دانق الموسوس :

" أَشَبِّهُ رَأسَهُ لَولَا وجار ... بِعَيْنيهِ ونضنضة اللِّسَان
بأعظم قَرعةٍ عظَمتْ وَتمْت ... فَليسَ لَهَا لَدى التَّمْيِيز ثاني
إذا عليت أسَافلها أمَالتْ ... دَعائمَ رَأسِها نَحو اللَّبَانِ
لَهَا فِي كل شَارِقَةٍ وَميضٌ ... كَأن بريقَها لمع الدِّهانِ
فَلَا سُلِّمْتَ من حَذَري وخوفي ... مَتى سَلِمَتْ صَفاتُكَ من لساني " [40]

لقد عدل الشاعر عن أسلوب الغيبة – مستعملاً الضمير الظاهر والمستتر- في قوله : " شبه ، رأسه ، بعينيه ، عظمت ، تمت ، لها عليت ، أسافلها، أمالت ،

بريقها " إلى الخطاب – مستعملا ضمير الخطاب التاء والكاف - حين قال : " سلمتَ ، صفاتك " ، وهذا الانتقال لتنبيه السامع وتشويقه .

قال سمنون بن حمزة الخواص :

" فمهما كان من خير وجود ... فما يرجي له أحد سواكا"[41]

فالشاعر هنا انتقل من أسلوب الغيبة – مستعملاً الضمير الهاء – في قوله : " له " إلى الخطاب – مستعملاً الضمير الكاف – حين قال : " سواكا " ؛ لغرض بث الشكوى للخالق تعالى جده .

قال ماني الموسوس:

"وما في الأرض أشقى من محب ... وإن وجد الهوى عذب المذاق
تراه باكياً في كل حين ... مخافة فرقة أو لاشتياق" [42]

لقد عدل الشاعر من أسلوب الغيبة في قوله : " وجد " إلى الخطاب ، قائلاً : " تراه " ؛ وذلك لغرض استحضار المخاطب وتشويقه .[43]

وقال أيضاً :

" لم يَبقَ إلاّ نَفَسٌ خَافِتُ ... وَمُقلَةٌ إنْسانُها باهِتُ.
بلى، وما في جسمه مَفْصِلٌ ... إلاّ وفيهِ سَقَمٌ ثابِتُ.
فدمْعُهُ يجري وأحشاؤه ... تُوقَدُ إلاّ أنّهُ سَاكِتُ
عَدُوّهُ يَبكي لَهُ رَحْمَةً ... وحسبُكم، من راحمٍ شامتُ"[44]

يُلحظ وجود الالتفات عند انتقال الشاعر من استعمال ضمير الغائب في قوله : " إنسانها ، جسمه ، فيه ، فدمعه ، أحشاؤه ، أنه ، عدوه ، له " إلى الخطاب عند استعماله الضمير الكاف في قوله : " حسبكم " ، فهو يستوقف حبيبته معاتباً إياها على ما أصابه من ألم بسبب فراقها و ابتعادها عنه ، فالشاعر حين أراد أن يصف ما أصابه من سقم وعناء – ليس في روحه فحسب بل في جسده أيضاً – استعمل ضمير الغيبة ، قاصداً بذلك أن يعرفها بما حصل له من بعدها وما وصل إليه من حال تستحق حتى رحمة عدوه له .

سادساً / الالتفات من الغيبة إلى التكلم :

قال أحمد بن عبد السلام :

" بـدر يلـوح علـى غصـن يجاذبـه ... ردف يمـور إذا مـا اهتـز ريانـا
لـم يخلـق الله مـن وجـه يعادلـه ... أسـتغفر الله إذ أغفلـتُ حمـدانا"[45]

فقد عدل الشاعر من الغيبة في قوله : " يلوح ، يجاذبه ، يمور ، اهتز، يعادله " إلى التكلم – مستعملاً الضمير التاء – في قوله : " أغفلتُ " ؛ ولربما أراد بذلك تعظيم مكانة محبوبته والرفع من شأنها .

قال بهلول بن عمرو :

"فمـن كـان ممـن لـيس يصـلح خادمـاً ... فعـن بابـه بـالطرد ذاك بعيـد
حبيـب لـه جـاه عـريض ورفعـة ... ومجـد علـى مـرِّ الجديـد جديـد
أولئـك خُـدام كـرام وسـادة ... ونحن عبيد السوء بئس عبيد "[46]

لقد انتقل الشاعر من الغيبة في قوله : " يصلح ، بابه ، له " إلى التكلم في قوله : " نحن " ؛ ولعل الغاية من ذلك تعظيم المخاطب والرفع من منزلته .

وكذلك ما قاله جعيفران الموسوس [47] ، لقد عدل الشاعر من الغيبة إلى التكلم وذلك عند استعماله لضمير الغيبة الهاء في (اكنافهم) في صدر البيت ، بينما في عجزه عدل إلى استعمال ضمير التكلم

التاء في (بقيتُ) ، وفي ذلك تمجيد لسابقيه ، ولعل انتفاله في الشطر الثاني إلى التكلم جاء لبيان سوء حاله من بعدهم .

وفي قول سعدون المجنون [48] ، يبدو أن الشاعر عمد إلى الانتقال من الغيبة في قوله : " تخفى ، عليه ، عيوبه ، له ، لأخيه " إلى التكلم في قوله : " أرى ، عيبي " ؛ وذلك للحث على نبذ هذه العادة- الانشغال بعيوب الآخرين- التي تلحق صاحبها بالسفاهة .

وقال سمنون المجنون :

"حـرام علـى قلـب تحـرم بـالهوى ... يكـون لغيـر الحـق فيـه نصـيب
تفـر د فيـه فـانفردتُ بحبـه ... فصـار علـيّ شـاهد ورقيـب"[49]

إن الشاعر انتقل من الغيبة حين قال : " تحرم ، فيه " إلى التكلم في قوله: " فانفردتُ " ؛ لغرض النصح والتوجيه .

قال ماني الموسوس :

"وَعاشـــــقٍ جـــــاءَه كِتَـــــابُ فـــــزَالَ عَنـــــهُ بـــــهِ العَـــــذابُ
وَقَـــــالَ: قَـــــد خَصَّـــــني حَبيبـــــي بِنعمـــــةٍ مَـــــا لَهـــــا ثَـــــوَابُ
فَحـــــقَّ لـــــي أن أتِيـــــهَ تِيهـــــاً يَقصـــرُ عَـــن وصـــفِه الخِطـــابُ" (50)

لقد استعمل الشاعر هذا الأسلوب – الانتقال من الغيبة إلى التكلم – لما فيه من تعظيم لشأن محبوبته ؛ ليوحي للمتلقي ما أراده من تعزيز مكانتها في قلبه .

الخاتمـــــــــــــــــــة :

لقد عني الشعراء الموسوسين- في العصر العباسي – بظاهرة الالتفات بنوعيه – الفعلي والضميري – ولم تكن تلك العناية اعتباطية ، بل كانت لغاية صرف مسامع المتلقي إلى معنى آخر أراده الشاعر – يدور في خلجاته – لتقوية الاستشعار بجمالية النص ، والتي تختلف من نص إلى آخر ، تبعاً لاختلاف المضمون ، فبالرغم من اشتراك النصوص الشعرية –التي تتضمن هذا الأسلوب – في دافع الالتفات إلا أن المضمون يتغير ، فلو عدل الشاعر من الخطاب إلى الغيبة، أو من الغيبة إلى التكلم، فسيحصل الاشتراك في الفائدة – التعظيم – بيد أن المضمون يختلف بحسب المعنى الذي يرمي الشاعر إيصاله .

الهـــــــــــــــــــوامش

1) موسوعة الأعمال الكاملة / محمد الخضر: 2 / 101
2) مناهج البلغاء وسراج الأدباء / القرطاجني : 348
3) ينظر: الطراز لإسرار البلاغة /يحيى الحسيني : 2 / 75
4) ينظر : تفسير المنار / محمد الحسيني : 5 / 110
5) غريب القرآن / ابن قتيبة : 172

6) مقاييس اللغة / ابن فارس : 5/ 258
7) التعريفات / الجرجاني : 35
8) شعر أبي حية النميري : 57- 60
9) ديوان أبي الشيص الخزاعيّ : 87
10) ديوان عبد السلام الجراوي : 3
11) ديوان المصابين : 32
12) عقلاء المجانين / النيسابوري : 123
13) شعر ماني الموسوس وأخباره : 75
14) العقد الفريد / ابن عبد ربه الأندلسي : 7 / 193
15) عقلاء المجانين : 111
16) المصدر نفسه : 60
17) يُنظر: شعر ماني الموسوس وأخباره : 49
18) ديوان المصابين : 318 – 319
19) شعر أبي حية النميري : 101
20) العقد الفريد : 7/ 184
21) الوافي بالوفيات / الصفدي : 11/ 130 – 131
22) عقلاء المجانين : 86
23) ينظر: الوافي بالوفيات : 15 / 120

[24]) ديوان المصابين : 328
[25]) شعر ماني الموسوس وأخباره : 81
[26]) ينظر : سرور النفس بمدارك الحواس الخمس : 265
[27]) شعر أبي حية النميري : 147
[28]) ديوان أبي الشيص الخزاعي : 12
[29]) ينظر : موسوعة القبائل العربية / محمد الطيب : 9 / 782
[30]) المصدر نفسه : 9 / 783
[31]) ديوان المصابين : 20
[32]) عقلاء المجانين : 73

[33]) المصدر نفسه : 53

[34]) شعر ماني الموسوس وأخباره : 86
[35]) المصدر نفسه : 89
[36]) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان / ابن الجوزي : 16 / 230
[37]) ينظر : ديوان أبي الشيص الخزاعي : 29
[38]) المصدر نفسه : 112
[39]) شرح ديوان الحماسة / المرزوقي : 1129
[40]) ديوان المصابين : 119
[41]) المصدر نفسه : 189
[42]) شعر ماني الموسوس وأخباره :80
[43]) شرح ديوان الحماسة : 937
[44]) شعر ماني الموسوس وأخباره : 50
[45]) ديوان المصابين : 5
[46]) المصدر نفسه : 26
[47]) المصدر نفسه : 83
[48]) عقلاء المجانين : 53
[49]) المصدر نفسه : 102
[50]) شعر ماني الموسوس وأخباره : 44

المصـــــــــــــادر والمراجع :

- التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني (ت 816ه) ، تح : جماعة من العلماء ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1403ه ، 1983 .
- تفسير المنار، محمد رشيد بن علي الحسيني (ت 1354 ه) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1990م .
- ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره ، تح : عبد الله الجبوري ، ط1 ، المكتب الإسلامي ، 1404 ه – 1974 م .
- ديوان المصابين ، تح : أبو الطاهر عبد المجيد الأسداوي ، مكتبة عرفات – الزقازيق ، 1422ه – 2002م .
- ديوان عبد السلام الجراوي (ت609ه) ، التراث الأدبي المغربي .
- سرور النفس بمدراك الحواس الخمس ، أبو العباس التيفاشي (ت 651 ه) ، تح : إحسان عباس ، ط1 ، مؤسسة العربية للدراسات ، بيروت – لبنان ، 1980 .
- شرح ديوان الحماسة ، أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي الأصفهاني (ت 421 ه) تح : غريد الشيخ ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1424ه – 2003م .
- شعر أبي حية النميري ، تح : د . يحيى الجبوري ، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي – دمشق ، 1975 .
- شعر ماني الموسوس وأخباره : تح : عادل العامل ، منشورات وزارة الثقافة – إحياء التراث العربي ، دمشق - 1988 م .
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ، يحيى بن حمزة بن علي الحسيني (ت 745 ه) ، ط1 ، المكتبة العنصرية – بيروت 1423ه .
- العقد الفريد ، شهاب الدين بن عبد ربه الأندلسي (ت 328 ه) ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1404 ه .
- عقلاء المجانين ، حبيب النيسابوري (ت 406 ه) ، تح : أبو هاجر محمد زغلول ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، 1405 ه – 1985م .
- غريب القرآن ، أبو محمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276ه)، تح : سعيد اللحام .

Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

- مرآة الزمان للجوزي (654ه) ، تح : محمد بركات ، كامل الخراط ، عمار ريحاوي ، ط1 ، دار الرسالة العالمية ، دمشق – سوريا ، 1434 ه – 2013 م .
- مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس القزويني (ت 352 ه) ، تح : عبد السلام محمد هارون دار الفكر ، 1399 ه – 1979 م .
- منهاج البلغاء ، لأبي الحسن حازم القرطاجي (ت 684 ه) ، تح : محمد بن الخوجة ط3 ، دار الغرب .
- موسوعة الأعمال الكاملة ، محمد خضر حسين (ت 1377 ه) ، تح : علي الرضا الحسيني ، ط1 ، دار النوادر – سوريا ، 1431 ه – 2010 م .
- موسوعة القبائل ، محمد سليمان الطيب ، ط3 ، دار الفكر العربي ، 1421 ، 1431.
- الوافي بالوفيات ، صلاح الدين الصفدي (ت 764ه) ، تح : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، 1420 ه – 2000م